■ إذا كان (الاستشراق) الكلاسيكي يرتبط بصورة ما من الصور، ببزوغ عصر الاستعمار القديم في الشرق، فإن (مابعد الاستشراق) يرتبط بصورٍ متنوعة لاحصر لها، ببزوغ عصر استعماري جديد تنبئ به سلسلة من الزلازل والمتغيرات، تكاد رجّاتها الأولى تسمع في كلّ أرجاء الوطن العربي والعالم الإسلامي..

في كتابه (مابعد الاستشراق: الغزو الأمريكي للعراق وعودة الكولونياليات البيضاء) الصادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، «بيروت، فبراير ٢٠٠٧م» ينتهي الباحث والكاتب العراقي فاضل الربيعي إلى أن التأمل في النتائج الواقعية التي اسفر عنها الاحتلال للعراق ربما تكشف الوجه الحقيقي لوظائف مابعد الاستشراق والعلاقة بينه وبين الغزو العسكري، تماماً، كما كان الحال مع الاستشراق الكلاسيكي..

من الفصل السادس من الكتاب (أساطير مابعد الاستشراق) تستوقفنا هذه الأسطورة..

اسطورة مابعد الاستشراق

جُمانة الهندية وماتيلدا الامريكية

«استُودع في المرأة العربية كل تفاهات العرب المتراكمة وهي تؤثر في الأجيال الشابة تأثيراً رجعياً وضاراً.. وهذا أمر لاتظهر آثاره كثيراً في الصحراء، حيث يعيش الرجال والنساء عيشة أقرب ما تكون إلى البهائم.. (...) لقد وقع المحظور ولم يعد هناك من فائدة فالعربي مرتد بطبيعته»..

نورمان دوغلاس (ينابيع في الرمال)

«مراراً قبل لنا في الأسابيع الأخيرة، ربما لتلطيف مشاعرنا، إن ما فعلناه في «أبو غريب» ليس شيئاً مقارنة بالإعدامات وصنوف التعذيب أيام صدام حسين».

جاكلين روز («أبو غريب» تحت ضوء فرويدي)

● أثناء رحلته إلى الصحراء الجزائرية في القرن الماضي، كتب نورمان دوغلاس هذا النص المريع عن «تفاهات» المرأة العربية التي هي باقتضاب «تفاهات العرب المستودعة فيها.. في الواقع لايجرؤ سوى رحالة القرنين الماضيين على كتابة هذا النوع من الانطباعات، التي لاتمثل فيها أحكام قاطعة من هذا النوع، مصدر مفاجأة بالنسبة إلى معظم، أو كل قراء النصوص الاستشراقية، ممن يعرفون جيداً وجهات نظر الرحالة الأجانب، بيد أن مصدر المفاجأة والإثارة على حد سواء سوف يكمنان مع ذلك، خارج هذا النوع منَ الأحكام وخارج النص نفسه، وحين نعلم أن «التفاهات» المستودعة عند «المرأة العربية» نفسها، هي، تماماً، وبالضبط مصدر وعي الغرب للشرق، فإن مصدر الفهم الشائع، والأكثر طغياناً في المؤلفات الصادرة، اليوم، عن عالم العرب بشكل عام، وعن العراق بشكل خاص، سيغدو مفهوماً.. ثمة تاريخان لسجن «أبوغريب»، ولكنهما يتجليان في الأسطورة التالية، بشكل ساطع، كتاريخين متنازعين، أحدهما تاريخ مزيف أنشأه الغرب بذاته، ولذاته، بحسب تعبير ماركس (أي لأغراضه الخاصة ولاستعماله الخاص) والآخر تاريخ حقيقي قام الغرب أيضاً بإنشائه، ولكن من دون رغبة في كشفه، أو استعماله علناً، إنه تاريخ سري قد يستحيل التعرف على وقائعه، لقد سعى إلى التستر عليه، وحجبه بكل الوسائل، وذلك هو التاريخ الذي عبرت عنه فضيحة «أبوغريب»، بيد أن هذا التاريخ سرعان ما افتضح بالرغم من كل تدابير السرد «السرية» وتطايرت شظاياه، على أثر مقالة سيمور هيرش الصاعقة في نيويوركر عن فضيحة تعذيب السجناء، وكما أن هناك تاريخين يتنازعان داخل السجن على قول الحقيقة للعالم، كانت هناك امرأتان أيضاً تنازعتا بشراسة على «التفاهات المستودعة لدى المرأة» بأكثر مما تنازعتا على قول الحقيقة.. إحداهما امرأة شرقية هي جمانة حنا، والأخرى «غربية» أمريكية تدعى ماتيلدا انجلند المجندة صاحبة الصورة الشهيرة، المرأتان التقتا في وقت متقارب من الناحية النظرية التجريدية داخل السجن نفسه وربما الزنزانة نفسها، لكن الأولى كانت تقوم بدور السجينة، فيما الثانية تقوم بدور السجان، بوصفها مجندة في الجيش الأمريكي عند احتلال بغداد.

سأروي لكم في هذا الجزء من الفصل، الأسطورة الخاصة بسجن «أبوغريب» كما رواها الغرب بصوته، استناداً إلى ما كتبه مالكوم لاغوش وسارة سولوفيتش لأنهما المصدر الوحيد، تقريباً، الذي نملكه اليوم للأسطورة في نسختها الكاملة وغير المشذبة، والذي سأعتمد عليه، مبدئياً، في إعادة بناء التاريخ السري.

جمانة ادعت تعرضها للتعذيب ٣ سنوات في سجون صدام وانتهت بفضيحة مدوية وكذب

الباستيل العراقي

كان سجن «أبوغريب» طوال سنوات من الخصومة، والعداء المكشوف للعراق، وبالنسبة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أهم مصدر لإنشاء شرق خيالي، بتعبير إدوارد سعيد، هذه المرة لم يكن غرض مابعد الاستشراق «إنشاء شرق آخر»، بل على الأرجح إنشاء «عراق آخر» يظهر فيه صدام حسين في هيئة ملك شرقي، يحتفظ بنساء عاشقات جميلات وحييسات السجن الرهيب، وبينما راح الجمهور الأمريكي يتتبع بانفاس مقطوعة، أدق التفاصيل عن السجن والممارسات التي قيل له إنها «مذلة ومهينة بشكل لايوصف»، كان جنرالات البنتاغون يضعون آخر اللمسات على عمليات التحضير للغزو من أجل «تحطيم الباستيل العراقي» وتحرير «النساء الشرقيات الأسيرات»، في هذا الوقت (مطلع ٢٠٠٣م) كانت ماتيلدا انجلند تتأهب للالتحاق كمجندة بوحدتها العسكرية المرسلة إلى جبهة الحرب، بينما كانت جُمانة حنا العراقية تصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية قادمة من بريطانيا، ولتغدو بسرعة، بطلة شعبية تعم صورتها البطولية مدن الولايات المتحدة الأمريكية، بفضل الواشنطن بوست، التي اهتمت أكثر من المعتاد بنشر «أسطورتها» في سجن «أبوغريب» لم يكن هناك من هو على استعداد لتكذيب البطلة، أو التشكيك بروايتها، أو «تفاهاتها المستودعة»، بحسب نص نورمان دوغلاس عن المرأة الشرقية التي استودع العرب لديها كل «تفاهاتهم».. لقد كانت الدرر والجواهر تتساقط من فم جُمانة بينما يرتفع سعرها في بورصة الإعلام، وتغدو غالية الثمن، ومطلوبة وضرورية مع أنها تبدو للناظر في صورة نفايات.

> **بعد سقوط بغداد تداعت اركان الاسطورة وتلاشى التاريخ الزائف الذي انشئته الغرب**

على غير توقع بعد احتلال بغداد مباشرة، وحين أصبح سجن «أبو غريب» تحت سيطرة إدارة الجيش الأمريكي، تداعت أركان الأسطورة، وتلاشى التاريخ الزائف الذي أنشأه الغرب، كما لو كان فقاعة، لم تكن هناك رؤوس مقطوعة ولا عاشقات جرى حبسهن بسبب الحب، ولكن، بدلاً من الحديث عن «تفاهات» المرأة العربية كما في عصر الاستشراق، فإن الغرب وإزاء قضية مفرطة الحساسية تخص مابعد الاستشراق في الصميم بوصفه «علم اكتشاف العرب المسلمين» وجد نفسه مرغماً وهو يتحدث بشيء من الرطانة عن «تفاهات امرأة شرقية» بعينها خدعته بأكاذيبها.. رمزياً وبحسب منطق السرد الأسطوري، بدت المرأة كما لو أنها كانت في تلك اللحظات، وحيث روت قصة موتها وبعثها من جديد، تتمثل التاريخ الكولونيالي برمته من التضليل والخداع والغش، وإلى الحد الذي أصبحت فيه منافساً عنيداً للغرب في «صناعة» الكذب والنفاق.. مع اكتشاف الغرب لفضيحة «أبو غريب» جمانة، أي السجن الذي قامت الضحية المزعومة بإنشائه خيالياً وتصورته، «أصبح هناك من ينافس الغرب بعناد وتصميم عجيبين على تأليف الأساطير «الضرورية واللازمة».. وذلك، ما أغضب الغرب كله، وأثار حنق واستياء الأمريكيين بشكل أدق.

كان سجن «أبو غريب» في تلك الآونة من «اختراعهم» وأساطيره من صنعهم، وما كان ضرورياً وجود سارد منافس تعج روايته بالأخطاء والهفوات المدمرة، ثمة امرأة شرقية، مع ذلك من صنعه واختراعه و«خلقه» وقد خرجت إلى الملأ لتنافسه على سرد الرواية، لم تأت الضحية الشرقية من حكايات «ألف ليلة وليلة» ولا من صحراء الجزائر (عندما كتب دوغلاس نصه) بل جاءت من المكان نفسه الذي تخيله الأمريكيون كمكان خيالي، للرعب حيث يجري تعذيب النساء في أقبية سرية، لقد جاءت من السجن الذي سوف تخدم فيه ماتيلدا انجلند كسجانة، قبيل الحرب على العراق كان السجن حاضراً بمهابة في وسائل الإعلام، وهكذا، لم تنل قضية تعذيب من الاهتمام وتسليط الأضواء المصحوب بالصخب واللغط ما نالته قضية جُمانة حنا.. ولم تنل قضية «تفاهات مُستودعة» تقوم بها امرأة بعينها، من السخط والاحتجاج في أوساط الرأي العام الأمريكي من جراء التضليل والخداع، ما نالته قضية جمانة حنا أيضاً.

غش وخداع

في هذا الوقت وحين كانت جُمانة تتحول من بطلة شعبية إلى «بطلة فضيحة» تتعلق بالغش والخداع، كانت ماتيلدا انجلند تتولى سراً مسؤولية «مداعبة» السجناء وملاطفتهم جنسياً، وذلك بسحبهم من أعناقهم بواسطة حبال مخصصة للكلاب وهم عراة، لكن أحداً لم يكن ليعلم بعد بما يجري في «الباستيل الجديد» فيما فضيحة جُمانة تدوي وتصبح ملء السمع والبصر.. نالت قصة تعذيب جمانة حنا وهي فتاة عراقية مسيحية هاربة من «جحيم صدام حسين» من الاهتمام والضجيج الإعلامي في الولايات المتحدة الأمريكية ما لم تنله أية قصة أخرى، حيث مزيج الحب والرعب والقتل والمهانة والاغتصاب والقتل الوحشي والرغبة والفساد التام وحتى الشعور بالحرية.. وكما كتبت سارة سولوفيتش في مجلة ايسكواير فإنها كانت بالنسبة للأمريكيين أشجع شاهد على «رعب صدام».. كان الجمهور الأمريكي مستعداً ومتعطشاً كذلك، لكي يرمي بنفسه في مياه النبع الباردة والمنعشة دفعة واحدة، ليرتوي كما لم يفعل في أي وقت آخر، وكان نبع الأسطورة الجديدة الشيقة والمسلية يتدفق فوق صفحات كبريات الصحف، وفي أمواج الأثير وفي المقابلات الحميمة والمثيرة التي أجراها بول وولفوويتز وبول بريمر ونقلتها شبكات التلفزيون الأمريكي على الهواء، حين كانت جُمانة تتمتع بمهابة المحاربين من أجل الحرية وترتدي ثيابهم، وكان الجمهور الأمريكي مستعداً لتصديق كل حرف وكلمة وإشارة وحتى أي شيء يقال عن قسوة ووحشية «الملك الشرقي» الذي يضرب أعناق النساء.

ولذلك استقبل قصة جمانة حنا حين سربتها إليه وسائل الإعلام، بكل ما يليق بأكاذيب مصنوعة بقدر رفيع من الإتقان، ليعتبرها دليلاً قاطعاً على عدالة الولايات المتحدة الأمريكية وشرفها، وعلى أن واجبها الأخلاقي يحتم عليها الآن وقبل الغد، لا ضرب العراق وإنما تدميره وسحقه كذلك كما قال شوارتزكوف.. بدأت قصة جمانة التي دونتها، لأول مرة، صحيفة الواشنطن بوست في مطلع عام ٢٠٠٣م قبيل احتلال بغداد، وطبقاً لما روته هي عن نفسها «عندما أرادت الزواج من شاب هندي يعيش في العراق» ولكن ذلك، بموجب «قوانين صدام الجائرة» كان مستحيلاً، فالقانون يحرم على العراقيين الزواج من أجنبيات أو العراقيات من أجانب، كما تقول جمانة لكتاب الواشنطن بوست.. ولم يقل أحد من الكتاب إن مثل هذا القانون لا وجود له، كما لم يعلق رئيس التحرير بشيء من النشوة وهو يثني على المقالة.. كانت جمانة، بحسب مزاعمها، تدير متجراً صغيراً للبيع بالمفرد، وكانت زوجة صدام اعتادت التسوق منه، ويبدو أنها أخطأت حين اعتقدت أن مجرد وجود هذه العلاقة العابرة مع زوجة الرئيس، كافٍ للتقرب من النظام من أجل الحصول على استثناء مِن القانون، تقول جمانة عن نفسها «إنها خريجة جامعة أوكسفورد البريطانية عام ١٩٨٢- ١٩٨٤م» وأنها حصلت على «درجة ماجستير في المحاسبة»، وأنها ظلت تناضل من دون هوادة من أجل الحصول على استثناء من القانون المزعوم للزواج من حبيبها الهندي، لكن، وبعد جهود مضنية تمكنت من الحصول على موعد للقاء عدي نجل الرئيس العراقي، تقول إنها «ذهبت إلى الموعد وانتظرت في غرفة معدة للاجتماعات مدة ساعتين» بعد ذلك، وعلى غير توقع، حدث تطور دراماتيكي غيَّر مجرى الأحداث كلها في الحكاية، إذ ظهر فجأة «رجال عدي» المتوحشون ليضعوا غطاء أسود على رأسها، ثم قاموا بسحبها خارج الغرفة بقسوة، منذ تلك اللحظة قبعت في السجن ثلاث سنوات متتالية، شاهدت وعاشت خلالها صنوفاً رهيبة من التعذيب، أدخلوها في «زنزانة ممتلئة بالكلاب المتوشحة التي أطلقت عليها وراحت تنهش جسدها» ثم جرى اغتصابها مرات عدة ومن دون توقف، «مارسوا معها اللواط، ضُربت، وتعرضت لصعقات كهربائية»، وخلال هذه السنوات علمت جُمانة أن حبيبها الهندي قتل على أيدي رجال صدام، تقول وهي تروي أسطورتها أيضاً: «رأت شابات لايتجاوز عمرهن ١٦ عاماً، صُعقن بالكهرباء ودفن وهن على قيد الحياة، أما الأخريات فقد أكلتهن الكلاب بينما كان هناك نحو ١٢٠ سجيناً دفنوا في باحة السجن».

حكاية جمانة

بعد احتلال بغداد قابلت جمانة الحاكم المدني للعراق السفير بول بريمر، الذي استقبلها في القصر الجمهوري وفي مكتب صدام حسين على وجه التحديد، وروت له قصة تعذيبها، ولشد ما أثار عاطفتها، حين رأته، وهو يذرف الدموع، كان بريمر يبكي كالطفل وهو يصغي إلى حكاية جمانة، بحسب رواية الواشنطن بوست، فيما بعد، أصبحت جمانة امرأة مشهورة في الولايات المتحدة، وغدت بطلة شعبية رائعة من بطلات هذا الزمان، لكن سارة سولوفيتش (التي سوف يقع الاختيار عليها فيما بعد لكتابة مذكرات جمانة حنا) كانت تبدو أكثر استعداداً للتدقيق في تفاصيل القصة البطولية من بريمر، بالنسبة إليها كانت هناك أشياء كثيرة غير قابلة للتصديق بالفعل في الترتيب الزمني للسرد والوقائع، وحتى في بعض الأرقام والمعطيات، كان لدى سارة القدرة والشجاعة الأدبية لكي تبدي قدراً من التحفظ عن «بطولة بطلتها»، حتى وهي تغمرها بكلمات التضامن ومشاعر التعاطف، ثمة أمر ما، يبدو محيراً وغير قابل للتصديق في «التفاهات» التي سوف يكتشفها الأمريكيون لاحقاً.. تقول سارة وهي تتمتم مع نفسها: «يجب أن تحال جُمانة إلى الاستجواب لمعرفة الحقيقة» رفض المسؤولون الأمريكيون في البداية- وتحت تأثير السحر المتعاظم لأسطورة بطلة الباستيل العراقي، وربما تحت ضغط الشعور بالذهول لسماع ما يُروى على لسان البطلة- رفضاً قاطعاً ونهائياً فكرة اخضاع جمانة للاستجواب كما طلبت سارة.. ثم جرى في وقت لاحق، وتحت ضغط بعض الفضوليين الذين يريدون معرفة «المزيد من الحقيقة عن وحشية صدام حسين»، عرضت جُمانة حنا على طبيب توليد، للتأكد من صحة الادعاء ان الجروح والندوب في جسدها، والتي زعمت أنها ناجمة عن التعذيب، هي جروح وندوب حقيقية ناجمة بالفعل عن «عمل وحشي واغتصاب».. بعد الفحص الدقيق لم يشاهد الطبيب أية علامة تدل على تعرضها للتعذيب، احتجت جمانة على نتائج التشخيص، وادعت أن الطبيب شخص مجرم متنكر في الأصل، قاتل وشرير و«إنه الطبيب نفسه الذي كان يأمر بقتل النساء في السجن».

قالت جُمانة، وهي تصر على أنها رأت الطبيب هناك، كما أصرت على أنها تعرضت للتعذيب في سجن «أبو غريب»، إثر ذلك قررت السلطات الأمريكية اعتبار الطبيب شخصاً غير كفء، ورُفضت نتائج فحوصه.. في الولايات المتحدة التي نُقلت إليها، كررت جمانة وهي تلتقي كبار مساعدي الرئيس بوش ونائب وزير الدفاع بول وولفوويتز قصتها المروعة، قام بول وولفوويتز بنفسه بإبلاغ لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس «بأن شجاعتها في الظهور العلني للإدلاء بمثل هذه المعلومات، من شأنه أن يساعد قوات التحالف على استئصال جذور البعثيين القتلة»، وخلال وقت قصير من ذيوع القصة، أصبحت جمانة حنا مصدر إلهام لقوات التحالف من حيث شعبيتها في الولايات المتحدة الأمريكية، وعندئذ، وبتأثير من أصدقائها وجيرانها المعجبين بشجاعتها، قررت أن تكتب كتاباً عن حياتها.

كانت جُمانة بحاجة لكاتبة قصة تُحيي للغرب شخصية «شهرزاد» ولذا بحثت عن كاتبة تتمتع بمؤهلات خاصة لكتابة قصتها، وبعد تقليب الخيارات وافقت على التعاون مع سارة سولوفيتش التي قابلتها للمرة الأولى في ٢٤ آب/ أغسطس ٢٠٠٤م، عندما جلست الكاتبة قبالة البطلة وجهاً لوجه، وراحت تصغي بكل جوارحها إلى الأسطورة، وهي تروي بلسان البطلة، كانت إذ ذاك مسحوقة ومستسلمة تماماً، لقد كان السرد شيقاً ومثيراً ويخلب الألباب، ولولا بعض المشاعر الغامضة التي انتابت سارة، بأن في القصة كماً كبيراً من التناقضات غير المفهومة، لما كان هناك شيء يمكن أن يفسد السرد، الذي كان يترك مساحة لا بأس فيها من التحسر والحزن على مصير شاب هندي تعيس زعمت أنه كان بطلها العاشق.

> **جمانة تبحث عن المقابر الجماعية في باحة السجن . . لكن ماتيلدا كانت منشغلة بالجنس!!**

تاريخ بطلة

ولذا رغبت سارة في استيضاح بضع نقاط ضرورية لأجل أن تكون القصة مقبولة تماماً، كان فضولها هو الدافع والمحرك الحقيقي للكشف عن معنى الالتباسات في الرواية الشيقة، تساءلت سارة: «ترى كيف يمكن لشخص تخرج من جامعة أكسفورد أن يتكلم إنكليزية رديئة إلى هذا الحد؟» ولم يكن هناك من جواب مقنع، بأنها ربما كانت «مرتبكة ومصدومة» بحيث لم يعد بوسعها تكلم الانكليزية بطلاقة كما كانت تفعل في الماضي، ومع ذلك سارعت سولوفيتش إلى الاتصال بالجامعة البريطانية، سألت ما إذا كان «هناك فصل دراسي خاص بالمحاسبة، وما إذا كانت هناك، ذات يوم، طالبة ماجستير تحمل اسم جُمانة حنا؟» تلقت سولوفيتش جواباً رسمياً قاطعاً بالنفي، وعندما راحت الكاتبة تبحث عن تاريخ بطلة القصة في العراق، بعدما أخفقت في العثور على أية قطعة من هذا التاريخ في بريطانيا، عادت لتكتشف أن بطلتها لم تكن تدير متجراً للبيع بالمفرد، بل وكالة هجرة غير رسمية إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأنها خدعت مئات العراقيين الراغبين بالفرار من جحيم العقوبات الاقتصادية، واستولت على أموالهم ثم عزمت على الفرار، كما أنها لم تكن تحب، في الأصل، رجلاً هندياً، أو رغبت بالزواج من رجل هندي، مع الوقت تدفقت تفاصيل القصة وتلقفتها سارة بدهشة: أولاد عم زوج جمانة، أبلغوا سولوفيتش أنه عراقي وأنه توفي منذ وقت قصير فقط، وأن إلقاء القبض على جُمانة له علاقة بأعمال نصب واحتيال ليس إلاّ.

تفاهات مستباحة !!

في هذا الوقت كان الأمريكيون ينشغلون في البحث عن المقبرة الجماعية التي زعمت جُمانة أنها في باحة السجن وتضم رفات ١٢٠ سجيناً، وفي هذا الوقت أيضاً كانت المجندة ماتيلدا انجلند تواصل مداعباتها «الجنسية» الشرسة للسجناء العراة في سجن «أبو غريب» أصبح سجن «أبو غريب» بتاريخيه المتنازعين و«امرأتيه» المخادعتين، تحت سيطرة وإدارة الأمريكيين المباشرة، لم يسمحوا، آنئذ، لأية منظمة دولية إنسانية بتفقد أوضاع السجناء، ومع هذا، لم يعثروا على أي أثر لذلك الجزء المروع من الأسطورة الخاص بالسجناء المدفونين في باحة السجن، لم تكن هناك عظام بشرية في «أبوغريب» مثلما لم يكن هناك قسم للمحاسبة في اكسفورد، ومثلما لم يكن هناك شاب هندي في بغداد، على هذا النحو تداعت أركان الأسطورة بسرعة غير متوقعة، وفي الحال قررت الواشنطن بوست الاعتذار لقرائها عن تورطها في نشر «تفاهات مُستودعة عند امرأة شرقية» وأشياء لاقيمة لها، عن بطلة مزيفة بيَّنت التحقيقات اللاحقة إن بطولتها كانت من نسج الخيال، ولكن قيل للصحيفة، آنئذ، أن مثل هذا الاعتذار سوف «يؤثر سلباً على قوات التحالف، ويظهر الأمريكيين بمظهر السُذج»، وبسرعة غير متوقعة تلاشى التاريخ الزائف مثل فقاعة، وأخلى مكانه لتاريخ حقيقي كان يُصارع بين جدران السجن لقول الحقيقة للعالم، تشوهت صورة البطلة وتشققت، والأسطورة تداعت حجراً بعد حجر، ولكن لتحل «بطلة» أخرى، ستروي للغرب نفسه وبلسانه الرواية ذاتها.

كان سجن «أبو غريب» بعد التاسع من نيسان/ أبريل ٢٠٠٣م، يغدو «أبو غريب ماتيلدا انجلند».. إنه سجنها الخاص الذي أعادت إنشاءه خيالياً، ليتلاءم مع متطلبات وتعليمات وظروف التسلية «بالأعضاء التناسلية» للسجناء الشرقيين العراة في الأروقة المظلمة، في هذا الوقت وحين تلاشى «أبو غريب جُمانة» أصبح «أبو غريب ماتيلدا انجلند» حاضراً بقوة الفضيحة الأخلاقية.. وباستخدام تعبير دوغلاس، ولكن في الاتجاه المضاد، فقد كانت هناك امرأة، من عالم مابعد الاستشراق استودع الغرب لديها كل «تفاهاته».. تقول ليندا في معرض تبرير تصرفاتها المشينة «نحن لا نشعر أننا كنا نفعل أموراً كان يُفترض ألا نفعلها»، لكن ماهي بالضبط هذه الأمور؟ كل ما فعلته المجنده صاحبة الصورة الشهيرة، هو أنها مارست بعض «التفاهات» المستودعة لديها، من قبيل شد الحبل المخصص للكلب من حول عنق السجين، ومن ثم سحبه عارياً على البلاط، بينما تتأهب هي وزملاؤها لالتقاط صورة تذكارية تتخللها بعض المشاهد «الحميمة».

تكتب جاكلين روز في محاولتها قراءة وتفسير التاريخ الجديد لسجن «أبو غريب» من منظور فرويدي، بدلاً من السمو بالعالم إلى مراقي التمدن والحضارة، يبدو أن القوى الحاكمة في القرن الجديد، تجهد قدر طاقتها، في محاولة أن ترد مواطنيها وأعداءها على حد سواء أطفالاً قاصرين».. على هذا النحو تشكل التاريخ الحقيقي لسجن «أبو غريب»، كمزيج لزج من العنف والوحشية ومشاهد الجنس وعفونة البشر.. إنه التاريخ السري للباستيل العراقي الجديد الذي أعاد الأمريكيون إنشاءه، خيالياً في المرة الأولى، وواقعياً في المرة الثانية.. في خضم الفوضى أنجبت الأسطورة «أسطورة» أخرى عن المكان نفسه والأبطال أنفسهم.